مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لكونِه غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرةِ محبَّتِه التي أحبَّنا بها* حينَ كُنَّا أمواتاً بالزَّلاَّتِ أحيانا مع المسيح. (فإنَّكم بالنعمةِ مخلَّصون)* وأقامَنا معهُ وأجلَسنا معهُ في السماويَّاتِ في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبَلَةِ فَرْطَ غِنى نِعمَتِه باللطفِ بنا في المسيح يسوع* فإنَّكم بالنِعمةِ مُخلَّصونَ بواسطةِ الإيمان. وذلك ليس منكم إنَّما هو عَطيَّةُ اللهِ* وليسَ من الأعمالِ لئلاَّ يفتَخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحنُ صُنعَهُ مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ للأعمالِ الصالِحةِ التي سَبَقَ اللهُ فأعدَّها لنسلُكَ فيها.

الإنجيل

(لوقا ١٠: ٢٥–٣٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ ناموسيٌّ وقال مجرِّباً له يا معلِّمُ ماذا

صوم الميلاد

تدخل الكنيسة المقدسة اليوم، أي في الخامس عشر من تشرين الثاني، فترة صوم يمتد لأربعين يوماً تهيئة لاستقبال عيد تجسّد ملك الكل، ربنا يسوع المسيح، الآتي لخلاصنا. أهمية عيد ميلاد ربنا يسوع بالجسد بالنسبة لخلاصنا تفرض بشكل طبيعي هذا الصوم كتهيئة لنا واستعداد لإستقبال رب الأرباب في مغارة قلوبنا، لإستقبال المسيح الآتي من المشارق ليمنحنا من جديد ما خسرناه في السابق أي الحياة الأبدية. في هذا الصوم نمتنع عن أكل اللحم والدجاج واللبن والبيض والحليب ومشتقاته، ويُسمح بأكل السمك ما عدا يومي الأربعاء والجمعة، كما يُسمح بتناول الفطور صباحاً.

أصل هذا الصوم من بلاد الغال (فرنسا)، وتذكر الكتب التاريخية انه في أواسط القرن الرابع (حوالي سنة ٣٦٧) كان يسبق عيد الظهور الإلهي ثلاثة أسابيع صوم. وكان حينها التعييد للظهور الإلهي يشمل عيدي الميلاد ومعمودية الرب. بعد انفصال العيدين وبدء التعييد للميلاد في ٢٥ كانون الأول انتقل الصوم إلى ما قبل الميلاد. وتشير مجامع بلاد الغال في القرن السادس إلى الصوم على انه فترة توبة. ومن هناك انتقل إلى كافة أنحاء الغرب والشرق وصار سائداً وممارَساً.

غالباً ما يرتبط الصوم في الكتاب المقدس بالتوبة. في العهد القديم، متى أحسَّ الشعب بخطيئته وأراد العودة إلى أحضان الله، كان يعلن فترة صوم ويكثف الصلوات كي يحصل على التنقية الداخلية وتتجدَّد حياته الروحية.

للصوم بُعد آخر أخروي إذ يجعل المؤمن يستعد للقاء المسيح الرب الآتي لخلاصه.

إذا تأملنا في هذين المعنيين في فترة التهيئة التي ندخلها اليوم لإستقبال الرب المولود طفلاً يتضح لنا ان امتناعنا عن بعض المآكل ومشاركتنا في الصلوات الكنسيَّة الطقسية، ما هما إلاَّ لتهيئتنا كي نجعل من داخلنا مذوداً آخر لكي يولد المسيح فيه روحياً وفعلياً. الصلاة والصوم يؤديان بنا إلى اتحاد كياني بالله. نصوم في هذه الفترة ونصلّي لكي يمنحنا الله نعمة وعي حضور ابنه بيننا ولكي نهيء أنفسنا

العدد ٢٠٠٩/٤٦

الأحد ١٥ تشرين الثاني

بدء صوم الميلاد

تذكار القديسين الشهداء غورياس وصاموناس وأفيفُس المعترفين

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

أعملُ لأرثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال له ماذا كُتِبَ في الناموس. كيف تقرأ* فأجابَ وقال أحببِ الربَّ إلهَكَ من كلِّ قلبك ومن كلِّ نفسِك ومن كلِّ قدرتِك ومن كلّ ذهنِك وقريبَك كنفسِك* فقال له بالصواب أجبتَ. إعملْ ذلك فتحيا* فأراد أن يُزَكّيَ نفسَهُ فقال ليسوعَ ومَن قريبي* فعاد يسوعُ وقال كان إنسانٌ منحدِراً من أورَشليمَ إلى أريحا فوقع بين لصوص فعَرَّوهُ وجرَّحوهُ وتركوهُ بين حيٍّ وميت* فاتَّفق أنَّ كاهناً كان منحدِراً في ذلك الطريق فأبصرَهُ وجاز من أمامِه* وكذلك لاويٌّ وأتى إلى المكان فأبصرَهُ وجاز من أمامه* ثمَّ إنَّ سامريًّا مسافِراً مرَّ بهِ فلمَّا رآهُ تحنَّن* فدنا إليهِ وضَمَّدَ جراحاتِهِ وصَبَّ عليها زيتاً وخمراً وحملهُ على دابَّتِهِ وأتى به إلى فُندقٍ واعتنى بأمرِه* وفي الغدِ فيما هو خارجٌ أخرَجَ دينارَيْن وأعطاهما لصاحبِ الفندقِ وقال له اعتَنِ بأمرِه. ومهما تُنفِقْ فوقَ هذا فأنا أدفَعُهُ لك عند عودتي* فأيُّ هؤلاءِ الثلاثةِ تَحسَبُ صار قريباً للذي وقع بين اللصوص* قال الذي صَنَعَ إليهِ الرحمة. فقال لهُ يسوعُ إمْضِ فاصْنَعْ أنتَ أيضاً كذلك.

لإستقبال يسوع الملك، المسيّا المنتظر. لذا يجب علينا أيضاً أن ننمّي في داخلنا، خلال الصوم، الطاعة للرب ووصاياه. لتخفِ إرادتنا ومشيئتنا وقوانيننا، وليأتِ مَنْ هو أقوى منا، الذي هو سيدنا، ولتكن مشيئته هو. نتهيأ بالصوم والصلاة لكي نُؤمِّن مكاناً للآتي من المشارق ليحل بيننا (يو ١: ١٤) قلوباً دافئة بالدفء الذي أمّنته له الحيوانات يوم ميلاده.

«أبناء العالم» يعرفون كيف يستعدون للمناسبات المهمة، نراهم يحرمون أنفسهم من بعض الأمور كي يدّخروا الأموال للإحتفال بهذه المناسبة، ونراهم يدققون في الإعلانات عن الرحلات والسهرات لكي ينتقوا ما يفرحهم. كم بالأحرى يجب علينا نحن «أبناء الإيمان» أن نتهيأ لأجمل مناسبة تخص كياننا: خلاصنا والفرح الأبدي.

ميلاد الرب هو المدماك الأول في بناء الله الخلاصي الذي كماله بالصليب المقدس. ألا يستحق هذا الحَدَث الكبير أن ندّخر جهداً روحياً (وليس مالياً) وندقق بما هو نافع لخلاصنا. الإحتفال ليس خطيئة وعيباً، المهم أن «اطلُبوا أولاً ملكوتَ اللهِ وبِرَّهُ وهذه كلُّها تُزادُ لكم» (متى ٦: ٣٣). لذا فإننا نتهيأ لميلاد السيد بالصوم والصلاة مجدِّدين إيماننا بالخلاص الذي حققه لنا يسوع بتجسدّه ومعلنين التزامنا بالرب ومتعهدين إتمام جميع وصاياه، وبعدها نحتفل كما يحتفل أهل الدنيا ولكن بلياقة وأدب وترتيب.

«أبناء العالم» سوف يمطروننا في هذه الفترة بالإعلانات التجارية التي توحي لنا بأن العيد لن يكون مكتملاً إلاّ إذا اشترينا ما يعرضونه علينا. والوضع هذه السنة بالنسبة لمعظم المؤمنين أصعب بكثير بسبب الحالة الإقتصادية المزرية. لننتبه، نحن المؤمنين، ولا نضيّع البوصلة. يسوع يأتي أولاً. خلاصنا هو الأهم، وبعده يأتي كل شيء آخر. لا نغرقن في خطيئة الحسد ممن هم مقتدرون على شراء الأشياء الثمينة. نحن لدينا اثمن شيء في العالم: الرب يسوع. مَن لديه فرح الرب يسوع يرى أيّ فرح دنيوي ثانوياً. لا بأس إن كان باستطاعته أن يحصل عليه، ولكن إن لم يستطع فلا يحزن لأن لديه فرحاً أكبر. المسألة هي مسألة قناعات وأولويات. مَن لا يستطيع أن يشتري البضائع اليوم سوف يكرّمه الرب يوماً ويمنحه أن يشتري ما يريد. لكن مَن لا يشتري الخلاص اليوم قد لا يأتيه يوم ويحصل على هذا الخلاص. هناك أمور يمكن تأجيلها وأمور لا يمكن التفكير بتأجيلها. ألا أعطانا الرب بركة لنجوز هذا الصوم ونستأهل أن نرتل: المسيح وُلد فمجدوه.

إطلالة على إنجيل متى

تعيِّد الكنيسة المقدَّسة في السادس عشر من تشرين الثاني للرسول متى الإنجيلي. كان اسم متى قبل دعوته لكي يكون رسولاً «لاوي». زاول مهنة التعشير (أي جباية الضرائب) في كفرناحوم، قبل أن يضمّه المسيح السيّد إلى مصفّ رسله الإثني عشر (متى ٩: ٩، مر ٢: ١٤). ويُعلّمنا تقليد الكنيسة الشريف أن بشارته تركّزت، بادئ ذي بدء، في نواحي فلسطين، قبل أن تتوسع إلى أصقاع أخرى. وهذا يوضح ما ذكرته أقدم الشهادات عن إنجيله، منذ مطلع القرن الثاني، أنّه دبّجه باللغة التي نطق بها الرب

تأمل

إن السامريَّ يمثّل الرب يسوع لا لطبيعة ألوهته بل لطريقته المتحنّنة. ان السامري بطبيعة جسده كان يشبه الآخرين لكن بشفقته لم يكن يماثلهم. لقد فاقهم. هكذا ظهر الرب كإنسان بصورته الجسدية شبيهاً بالأنبياء وبالأجداد بحسب طبيعته الجسدية التي أخذها من مريم العذراء. لكن بقوة ألوهيته فاق الجميع. كان مساوياً لهم من حيث شكله البشري لا من حيث مجده الذي يفوق العالم.

عَبَرَ أولئك عن المجرّح بسبب لا مبالاتهم وقساوتهم. لكن السامريّ أظهر شفقة أكثر وتقوى ورحمة. هكذا فعل المسيح. كان الأجداد والأنبياء لا مبالين بالنسبة للإنسان الذي سقط في معصية. لكن ذاك وُجد شفوقاً ورحوماً. حسب قول النبي: «شفوق ورحوم هو الرب، طويل الأناة وكثير الرحمة».

السامريّ لم يكن من الشعب الإسرائيلي بل كان ينحدر من بلد آخر. هكذا فإن المسيح لم يكن من الأرض بل من السماء. أتى إلى الأرض. كان إلهاً فأصبح إنساناً من أجلنا.

يسوع، أي بالآرامية، قبل أن يُتَرجَمَ إلى اليونانية وسواها من لغات الأمم.

وقد أجْزَلَ متى في إنجيله الإستشهادات بنبوءات العهد القديم المسيانيّة، أي التي تخبر بمجيء المسيّا المخلّص، ليثبت للعبرانيين أن الرب يسوع إنما هو مسيح الله المنتظر، وأن كنيسة المسيح هي غاية القصد الإلهي، وإتمام النبوءات والكتب. وقد تكون هذه الميزة في إنجيله هي السبب للتعييد له في بداية الصوم الذي يهيئنا لميلاد السيد.

تحرُّك متى الإنجيلي في كرازته، من فلسطين إلى الخارج، ما هو إلا انعكاس لما في بشارته من دعوة إلى التوبة وأعمال المحبة والانفتاح على شعوب الأرض. هو الذي ينذر اليهود المنغلقين بكلام السيّد: «إن كثيرينَ سيأتونَ من المشارقِ والمغاربِ ويتَّكئونَ مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السمواتِ، وأمَّا بنو الملكوتِ فيُطرَحونَ إلى الظلمةِ الخارجيَّةِ» (٨: ١١-١٢). لذا، وإن كان متى يبدأ إنجيله بإيراد نَسَب الرب يسوع العبراني، إلا أنّه ينهيه بإطلاق المسيح المخلّص لتلاميذه إلى أطرافِ الأرض: «اذهبوا وتلمِذوا جميعَ الأمَمِ وعمِّدوهم باسمِ الآبِ والإبنِ والروحِ القُدُس، وعلّموهم أن يَحفَظوا جميعَ ما أوصيتُكم به» (٢٨: ١٩).

وتبرز في إنجيل متى بشارة «ملكوت السموات»، هذا المُلك الذي أتى المسيح ليدشّنه على الأرض ويوطّد أسسه. وقد أكّد آباء الكنيسة القديسون أن ملكوت الله يُستعلن بتأسيس الكنيسة وتوسّعها وانتشارها. هذا الموضوع يعالجه التلميذ الإنجيلي في أمثال الملكوت. فالـ«حقل»، و«شبكة السمك» يرمزان إلى العالم حيث يتّسع نطاق البشارة. والخميرة وحبة الخردل تظهران قوّة الله المتجلية في الكنيسة (الإصحاح ١٣) وقوّة ملكوت الله الذي يؤخذ من إسرائيل ويُعطى «لأمّة تعمل أثماره» (٢١: ٤٣).

وإنجيل متى يشدّد على دور الإنسان في الاستجابة لدعوة الله. «برّ الإنسان» هو الردّ على صلاح الله. هذا الإلتزام الروحي الأخلاقي، من جهة الإنسان، يؤتيه ثمار الملكوت.

العمل والتضحية في إنجيل متى هما ميزتا المسيحي الحقيقي. بهما يُعرف المسيحي كما أن الشجرة تُعرف من ثمارها (٧: ١٥-٢٠)، وعنهما يُسأل يوم الدينونة الأخير (٢٥: ٣١-٤٦). وما الموعظة على الجبل (الإصحاحات ٥-٧) إلا الإيضاح الأجلى لما يتطلبه الله من الإنسان من محبّة وعطاء وأمانة. فالله لا يستعيد الإنسان بناموس قسري، بل يحرّره ويهبه النعمة. وبنعمة الله وحدها يستطيع الإنسان أن يطبّق الوصايا المعطاة في الموعظة على الجبل، والتي قد تبدو للكثيرين مثالية أو غير واقعية. نعمة الله هذه، التي شقت البحر الأحمر قديماً لموسى والعبرانيين، هي التي شقت حجاب الهيكل وفاضت على الإنسانية جمعاء، يوم عُلّق المسيح على خشبة الصليب.

أخيراً وليس آخراً، يخبرنا إنجيل متى بأن تلاميذ الرب ذاقوا عذوبة النعمة يوم كانوا مجتمعين «والأبواب مغلقة»، وحين تسلّموا من السيّد الوعد بأنه يكون معهم «إلى انقضاء الدهر» (٢٨: ٢٠).

كان رباً وسيّداً ولبس شكلَ عبد. أظهر لنا عطفاً من السماء ونزل إلى الأرض. رأى الإنسان مطروحاً من اللصوص مأخوذاً بالفسق والوثنية والزنى والقتل، رأى وأشفق على جبلته وصبَّ عليه خمراً وزيتاً. وبعد ان خلط الإثنين وضعهما عليه (لوقا ١٠: ٣٤). ماذا يقصد بخلط الخمر والزيت؟ بعد أن وصل بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، بعد ان وفّق بين الشفقة والخلاص، خلّص الإنسان. لأنه ما ان سال دم ربّنا من جنبه حتى مُحيت خطايانا عن الورقة. ماذا يقصد بالعبارة وضمّد جراحاته؟ يعني أنه ربط الشيطان وحرّر الإنسان. ربط المركب وأحيا البحّارين. أوثق وأخضع قوّات الشرير وحرّر الإنسان. أَطلقَ كلمةَ التعزية كالزيت وأضافَ تعليمه كالخمر المعتّق الذي يجمع الفكر المشتّت حسب قول الرسول: «وبّخ، عظ وعنِّف».

القديس يوحنا الذهبي الفم

ونحن بالتأكيد سوف نتذوق هذه النعمة متى اجتمعنا مع بعضنا باسمه لأنه وَعَدَنا وعداً صادقاً بأنه «حيثما اجتمعَ إثنانِ أو ثلاثةٌ باسمي فهناكَ أكونُ في وَسَطِهِم» (متى ١٨: ٢٠).

تضرّع

أيها المسيح المخلص، لقد صرت من أجلي طريق الحياة التي تقود إلى الآب. هذا هو الفرح وحده ونهاية الطريق هي ملكوت السموات. لقد صرت من أجلي، أيها الرب يسوع يا ابن الله، طريق الحياة واستنارة فغرفتُ مواهب من ينبوعك وذلك بكل قواي وبشوق كبير. فأصبحت نعمتك في نفس عبدك نوراً وفرحاً أحلى من العسل في فم خادمك. لقد أصبحت نعمتك في نفس عبدك مثل كنز أغنى فقري وطرد مني الحرمان والشقاوة. صارت نعمتك ملجأً وقوّة لعبدك، معونةً، مدحاً، فخراً وغذاءً للحياة كلّها. كيف يستطيع عبدك، أيها السيّد، أن يصمت أمام عذوبة محبتك الغزيرة ونعمتك؟! لذلك فتحت فمي غير المستحق. كيف يستطيع لساني بسبب نعمتك أن يسبح ويمجد مانح الخيرات؟ وكيف أتجرأ أيضاً أن أوقف أمواج نعمتك التي تتدفق في قلب خاطئ تملؤه عذوبة لا توصف؟! سأرنّم تمجيداً لسيّد السموات الذي أعطى عبده مواهبه السماوية بغزارة. سأمجد نعمتك، أيها المسيح المخلص، لأنه بهذا أتمجد أنا أيضاً. لا أتوقف عن تسبيح نعمتك، أيها السيّد، ولن تتوقف قيثارتي عن إنشاد ترانيم روحية. إن شوقك يجذبني إليك، يا مخلّص. أنت فخر حياتي. نعمتك تحلي ذهني فيتبعك. ليصر قلبي أرضاً خصبة تتقبل الزرع الجيد ولتُسقط فيها نعمتك ندى الحياة الأبدية. ولتحصد نعمتك من أرض قلبي باقات جيّدة أعني التخشّع، السجود، التقديس، كل ما يرضيك دائماً. أعد نفسي إلى حظيرة فردوس النعيم مع الخروف الضال الذي وجدته. ضَعْ نفسي داخل النور. ذاك الخروف الضال، لما وجدته رفعته على منكبيك. أما هذه النفس الشقية فامسكها بيدك، وقدّمها للآب الطاهر الأزلي حتى أقول في نعيم الفردوس مع جميع القديسين: «المجد للآب الأزلي، السجود للذي منح مواهب سماوية لعديم الذكر لكي يقدّم هذا الأخير ثمر تمجيد لملك الكلّ إلى الدهر آمين».

القديس أفرام السرياني

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة تذكار دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ٢٠ تشرين الثاني وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb